(١) الثائر

الزمان: صباح يوم من ايام اكتوبر عام ٢٠١٠

المكان: مبنى الامن القومى لدولة عربية نامية صغيرة بعيدة - حجرة مكتب رحب .. فاخر..

وسط اضواء خافتة اضفت غموض على المكان وبإبتسامة واسعة نهض من خلف مكتبه رجل فى اوائل العقد الخامس من عمره تدل اناقته وهيئته على انه مسئول هام يتقلد منصب رفيع بدولته ..وفى هدوء وترحاب مد يده ليصافح ضيفه القادم والذى بدا أصغر سناً من الرجل وأقل ترحابا به وان كان يتفق معه فى الاناقة.. وما ان جلس الاثنان حتى تجمدت نظرات الضيف أمام بقعة مظلمة فى ركن من اركان المكتب يجلس فيها رجل ثالث ملامحه وهيئته مختفية تماما وسط الظلام الذى يحيط به..لحظات صامتة واندفع الضيف متسائلا:

- **هل يمكننى ان اسأل.. ما سبب وجودى هنا؟؟ .. (ثم اشار برأسه وهو يضيف) ..ومن الذى يجلس هناك؟؟**

وبنفس الابتسامة التى استقبله بها رد المسئول قائلا:

. تذكر انى اكدت لك فى المكالمة الهاتفية ان اللقاء بيننا لقاء ودى ليس أكثر.. ثم انى تركتك تحدد الميعاد المناسب لك .. (ثم اشار برأسه ناحية الرجل الثالث) .. ولا تشغل بالك بمن يجلس هناك .. ولا داعى للقلق يا عزيزى..

هز الضيف كتفيه قائلا:

- المسألة ليست قلق ..ولكننى أحب الوضوح..

اعتدل المسئول فى مجلسه وهو يقول:

- وانا فعلا واضح معك..

هتف الضيف متسائلا برنة ساخرة:

. بعد احتجاز هاتفى وتفتيشى .. كيف يكون لقاءا وديا فى مبنى الأمن القومى؟؟ (وبسخرية متزايدة اضاف وهو يشير الى البقعة المظلمة) .. ومعنا الرجل الخفى..

أجاب المسئول فى جمود صارم :

- لا داعى للسخرية منه ..

عاد الضيف ينظر الى البقعة السوداء وحاول ان يتبين ملامح من يجلس هناك الا انه تنهد وهو يقول:

. حسنا ساتجاوز هذه النقطة مؤقتا ..واكرر سؤالى ..كيف يكون اللقاء بيننا وديا ونحن داخل مبنى الامن القومى ؟؟

رد المسئول فى هدوء عجيب :

- حساسية منصبى وشهرتك ككاتب سياسى بارع تحتم على كلانا ..كأصدقاء.. بأن لا نتقابل فى أماكن عامة..

رد الضيف:

- لسنا أصدقاء.

اتسعت عينا المسئول وهو يقول وسط ابتسامته التى لم تترك وجهه:

.- يا لجراءتك.. أترفض صداقة شخص مثلى؟

أجاب الضيف فى ثبات:

- بالطبع ..لأننى مختلف معك دائما وبالتأكيد تقرأ ما أكتبه عنك وعن مجموعة المستشارين المقربين من الرئيس شخصيا والتى تترأسها انت ..بجوار منصبك الأمنى هذا وبالأضافة الى وجودك كوزير فى الحكومة الحالية.

قال المسئول:

- ولكن الاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية.

رد الضيف فى حزم:

- ليست أى قضية ..انها قضية وطن يئن ..بلد يعانى.. وجيل بأكمله بائس حزين ..زرعتم فيه الاحباط واليأس بسبب سياستكم الخاطئة فى ادارة البلاد وحساباتكم التى تقوم على حماية مصالحكم الشخصية ومصالح احبائكم واعوانكم واتباعكم.. على حساب ثروات هذا البلد.. فى حين تأتى مصالح الشعب فى المرتبة الأخيرة من اجندة اعمالكم التى تغمرها رائحة الفساد.

تلاشت الابتسامة من على وجه المسئول وهو يقول فى برود ساخر:

- هل تتوقع ان تستفزنى هذه الكلمات.. على العكس.. لقد اعدت عليها.. ومللت منها.. ألم تمل انت منها؟؟

وبنفس اللهجة الحازمة الجريئة أجاب الضيف:

- لا ..ولكن دعنى اطرح عليك نفس السؤال.. ألم تمل انت من كثرة تصريحاتكم الوردية.. والتى تؤكد ان كل شئ على اكمل وجه وتحت السيطرة ..وان اليوم افضل من أمس ..والغد

سيكون أفضل... بينما الواقع يؤكد اننا مقبلون على كارثة.. كارثة محققة تهدد كيان هذا البلد.

هتف المسئول فى ثورة مكتومة:

- هذا ما تتوهمه انت وتبثه عبر سطور كتبك ومقالاتك.. وتهدم بها خطتنا الطموحة لتنمية هذا

رد الضيف ساخرا:

- تنمية .. أى تنمية؟.. (ثم اضاف) يا ليتكم تتركون مكاتبكم الفخمة ..وعرباتكم الفارهة..وقصوركم المنيفة.. وحياتكم المستوردة كلها من الغرب والشرق بأموال الشعب المسكين ..وتنزلوا الى الشارع ..بين الناس ..سترون أثار تلك التنمية المزعومة على الوجوه المحطمة.

المسئول: انها مرحلة انتقالية ..من أجل التغيير الى الأفضل.

الضيف :. انه تفكك وليس تغيير..تفكك بلد ..تفكك حضارة ..تحلل انتماء كان فى وقت من الاوقات هو وقود الأمة فى بناء حضارتها القديمة العظيمة.. فكيف تطلبون بناء حضارة حديثة وانتم تقتلون روح الانتماء داخل النفوس

المسئول :.لكل بلد ظروفها.

الضيف :. بل لكل بلد رجالها ..رجال إما يرفعونها الى مصاف الدول المتقدمة أو ينزلوا بها الى اسفل خط الفقر.. كثير من الدول كانوا أكثر منا تخلفا وأقل منا فى امتلاك الثروات الطبيعية ..أصبحوا فى خلال سنوات قليلة متقدمون

عنا بمراحل.. ألم تدركوا بعد ان العيب والخطأ فى نظامكم وفى رؤيتكم لإدارة بلادنا؟؟

رد المسئول فى سخرية:

- وهل تتصور نفسك خبيرا عظيما تستطيع ادارة هذه البلاد؟؟

أجاب الضيف بتهكم:

-لا ..ولكن ماذا فعلت انت ايها الخبير العظيم؟؟ ..وما هى نتائج ادارتك للبلاد؟؟ ..(ثم اضاف فى حزم) ..معدلات تنمية تنخفض كل يوم ..عجز هائل فى الميزانيات يزداد كل يوم ..الفساد فى كل قطاعات الدولة ..الابتزاز أصبح العملة السائدة فى اى مكان تحت سمعكم وبصركم ..مسئولين وكبار فى الدولة يتساقطون كل يوم ..منهم من يخطف الملايين ويهرب الى الخارج من قاعة كبار الزوار..ومنهم من تورط فى صفقات مشبوهة وعمليات فساد كبرى ورغم ان التحقيقات تثبت هذا التورط ..الا انكم تتركونهم يعثون فى الارض فسادا ..ويتجولون بحرية فى طول البلاد وعرضها ..يتباهون انهم فوق القانون والنظام ..وهذا ليس له غير معنى واحد.. أن النظام الذى يتخاذل ويعجز عن صد الفساد بل ويحميه ..هو نفسه متورط وغارق حتى اذنيه فيه..

وعلى عكس ما كان يتوقعه الضيف نظر المسئول اليه فى صمت وبدا انه يحاول ان يتماسك قبل ان تنفلت أعصابه ..ويبدوا انه نجح فى السيطرة على اعصابه عندما تنهد قائلا:

-كنت اتوقع مثل هذا اللقاء الجاف.

قال الضيف:

-اذن فلنعد الى سؤالى الاول ..ما سبب وجودى هنا؟؟

ابتسم المسئول ابتسامة صغيرة قائلا:

-كما قلت لك من قبل ..مجرد لقاء ودى.

الضيف: والهدف منه؟؟

المسئول: تقديم نصيحة مخلصة لك.

الضيف: نصيحة ام تهديد؟؟

اجاب المسئول وسط ابتسامة واسعة:

- هذا الاسلوب المباشر يعجبنى حقا ..لذلك سأكون واضحا معك الى اقصى درجة ..وأقول وأؤكد ان هذا اللقاء هدفه النصيحة بالفعل..

قال الضيف فى لمحة من السخرية:

- وماذا اذا رفضت النصيحة؟؟

مال المسئول الى الامام وهو يقول فى جدية حازمة يملؤها لهجة التهديد:

- فى هذه الحالة وبإختصار شديد ستكون متهما فى خلال ٢٤ ساعة.

تمتم الضيف فى تعجب:

- متهما!!

قال المسئول فى اقتضاب:

- نعم..

تماسك الضيف وسيطر على تعجبه وهو يسأل فى برود ساخر:

- وبماذا تتهمونى؟؟

أجابه الضيف وهو ينظر أمامه الى ملف ملئ بالاوراق:

- هناك قضايا كثيرة تنتظرك ..سب وقذف ..افشاء اسرار الدولة.. الدعوة الى التمرد والعصيان ..محاولة افساد المناخ الاقتصادى.. اتهام الحكومة بالنصب والاحتيال ..اتهام المسئولين الكبار ورئيس الوزراء شخصيا بال.....

قاطعه الضيف قائلا:

- عندى مستندات واوراق وادلة تؤكد تورطكم فى سلسلة من العمليات والصفقات الفاسدة والتى ضربت اقتصاد البلاد..

ابتسم المسئول فى خبث قائلا:

- ونحن أيضا.. لدينا مستندات..

هتف الضيف:

- اتحداكم ان تجدوا دليل واحد ضدى تستخدموه لتشويه سمعتى.

أومأ المسئول برأسه قائلا:

- بالفعل ..نحن نعترف بذلك.. فللأسف تاريخك نظيف جدا منذ ان كنت رياضى سابق ثم اعتزالك واتجاهك للأدب والكتابة واصدارك للعديد من الكتب وتحريرك للمئات من المقالات والتى جذبت الجميع فى مصر والوطن العربى.. ونقر بأننا لم نجد ثغرة واحدة طوال حياتك الماضية سواء كانت أخلاقية او مهنية نستطيع بها ان نحولها الى قضية تشغل الرأى العام وتهدم علاقة الثقة والمصداقية بينك وبينهم.

قال الضيف ساخرا:

- يا لعظمة رجال هذا البلد.

تجاهل المسئول تعليق ضيفه وأستطرد:

- لذلك عكفنا على اعداد مستندات اخرى تجعل مستنداتك التى حصلت عليها بشكل أو بآخر..بلا اى قيمة امام القضاء..

وبنفس لهجة السخرية قال الضيف:

- بالفعل.. نحن نعيش ازهى عصور الديمقراطية والموضوعية والشفافية.

رد عليه المسئول هذه المرة وقال:

- دعنى اؤكد لك بأننا نعيش بالفعل ازهى عصور الديمقراطية.. فلو اننا نظام ديكتاتورى لكنت الأن بين جدران المعتقلات مع اول حرف كتبته ضد النظام.

ضحك الضيف وهو يقول:

- تتكلم وكأنه بالفعل لا توجد معتقلات فى بلدنا يتعرض من بداخلها لأبشع الوان التعذيب فى خرق صارخ لكل الاتفاقيات الدولية لحقوق الانسان والتى اشتركتم فيها ووقعتم على احداها فى وقت قريب..

نظر المسئول اليه صامتا ثم قال فى هدوء لا يتناسب مع حرارة الحوار:

- ليس هذا من شأنك.. ولنعد الى موضوعنا..

قال الضيف:

- حسنا فلنعد الى موضوعنا.. وبالطبع وبكل تأكيد ستكون نصيحتك لى هى الصمت.

هز المسئول رأسه نافيا وهو يقول:

- لا.. بل الرحيل.. الرحيل من الوطن..

ونزلت كلماته كالصاعقة فوق رأس الضيف ..

*****